

najinaaman an-najiyat

version originale en arabe

من الرسائل

صاعقة

عندما تُضربُكَ الصَّاعِقَةُ على رأسِكَ،
لا تَنْتَظِرُ سَمَاعَ صَوْتِ الرَّعْدِ
1973

مُحاول

أَلْكَلُ يَشْعُرُ، وما من شاعرٍ،
بَلْ مُحاول
1999

جَهْل

لا أَحَدَ يُذْرِكُ نَفْسِي كما أُذْرِكُها،
وَكَمْ أَجْهَلُ نَفْسِي
1973

مَحَبَّة

أَلْمَحَبَّةُ أن تَذْكَرَ أْبْسطَ سَوْءٍ تُسَبِّهُ لِلْغَيْرِ
وَتَنْسِيَ أَعْظَمَ سَوْءٍ يَنْسَبُّهُ الْغَيْرُ لَكَ
1997

يِرَاع

إِنْ لَمْ يَفْعَلِ الْيِرَاعُ، فَعَبَثًا يُحاولُ الْحُسامُ
1993

نُبوءة

كُلُّ إنسانٍ نَبِيٍّ،
تَبْدَأُ الْحَيَاةُ بِهِ، وَتَنْتَهِي
1988

سَعَادَة

إِنْ نَحْنُ أُخَذْنَا:

من الوَتْنِيَّة، إِحْتِرَامَ الأَرْضِ والأَجْدَادِ،
ومن دِيَانَاتِ الشَّرْقِ الأَقْصَى، أَلرُّوحَانِيَّةِ،
ومن الْيَهُودِيَّةِ، أَلرُّوْيَا والنَّبَاتِ،
ومن الْمَسِيحِيَّةِ، أَلْمَحَبَّةِ والنَّسَامُحِ،
ومن الإِسْلَامِ، حَرَارَةَ الإِيمَانِ،
ومن الْعِلْمَانِيَّةِ، أَلتَّفَهْمَ والأِنْفِتَاحِ،
ومن الإِنْسَانِيَّةِ، أَلسَّعْيَ لِلوَحْدَةِ؛

إِنْ نَحْنُ أُخَذْنَا كَلَّ هَذَا، مِنْ جَمِيعِ تَلْكَ،
عَدَوْنَا أَسْعَدَ البَشَرَ

1990

أَلرُّوْيَا

... وَأَحْسَ الشَّيْخُ بِسَاعَةِ الأِنْدِمَاجِ، فَتَحَلَّقَ حَوْلَهُ نَاسُهُ طَالِبِينَ نُصَحَهُ لِمَرَّةٍ أُخِيرَةَ.

قَالَ:

إِنْعَمِقُوا مِنْ المَادَّةِ كَمَا انْعَمَقْتُ إِرَادِيًّا عِنْدَمَا، فِي السَّابِعَةِ مِنْ عُمْرِي، أَهْدَيْتُ فَقِيرَ الحَيِّ
لِعَبْتِي المُقْضَلَةَ الَّتِي شَغَلْتَنِي عَنِ العَطَاءِ؛
وَانْعَمِقُوا مِنَ العَرَامِ كَمَا انْعَمَقْتُ إِرَادِيًّا عِنْدَمَا، فِي السَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِي، ضَحَيْتُ
بِحُبِّي لِصَدَاقَتِي؛
وَانْعَمِقُوا مِنَ العِلْمِ كَمَا انْعَمَقْتُ إِرَادِيًّا عِنْدَمَا، فِي السَّابِعَةِ والعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِي، تَوَقَّفْتُ
عَنْ تَجْمِيعِ شَهَادَاتٍ كَادَتْ تُقْضِي بِي إِلَى العُرُورِ بَدَلِ التَّوَاضُعِ؛
وَانْعَمِقُوا مِنَ الشُّهُرَةِ كَمَا انْعَمَقْتُ إِرَادِيًّا عِنْدَمَا، فِي السَّابِعَةِ والثَّلَاثِينَ مِنْ عُمْرِي، أُدْرِكْتُ
أَنَّ الشُّهُرَةَ إِثْمًا سَرَابٌ؛
وَانْعَمِقُوا مِنَ البَحْثِ فِي المَآوِرَانِيَّاتِ كَمَا انْعَمَقْتُ إِرَادِيًّا بَعْدَمَا، فِي السَّابِعَةِ والأَرْبَعِينَ مِنْ
عُمْرِي، أَيَقَنْتُ أَنَّ عَلِيَّ أَنْ أَدْعَ أَمْرَ الحَقِيقَةِ لِلحَقِيقَةِ؛
وَانْعَمِقُوا مِنَ الأَجْتِمَاعِيَّاتِ الخَبِيثَةِ كَمَا انْعَمَقْتُ إِرَادِيًّا بَعْدَمَا، فِي السَّابِعَةِ والخَمْسِينَ مِنْ
عُمْرِي، أَيَقَنْتُ زَيْفَ غَالِبِيَّةِ النَّصْرَفَاتِ البَشَرِيَّةِ؛
وَانْعَمِقُوا مِنَ النَّاسِ، وَحَاولُوا النَّسْكَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِذَا مَا، مِثْلِي، فِي السَّابِعَةِ والسِّتِينَ مِنْ
العُمْرِ، لَمْ تَجِدُوا لَكُمْ صَدِيقًا وَفِيًّا؛
وَانْعَمِقُوا مِنَ الفِكْرِ كَمَا انْعَمَقْتُ إِرَادِيًّا عِنْدَمَا، فِي السَّابِعَةِ والسَّبْعِينَ مِنْ عُمْرِي، تَوَقَّفْتُ عَنِ
الكِتَابَةِ، وَمَرَقْتُ كُنْبِي لِأَنَّهَا مَنَعْتَنِي عَنِ الطَّبِيعَةِ؛
وَانْعَمِقُوا مِنَ الجَسَدِ مَا أَمُكِّنْكُمْ، وَفِي مَخْتَلَفِ مَرَاحِلِ حَيَاتِكُمْ، حَتَّى إِذَا مَا حَانَ زَمَنُ
انْعِتَاقِكُمْ الكُلِّيِّ مِنْهُ، تَكُونُونَ، مِثْلِي، مُسْتَعِدِّينَ لِلانْعِتَاقِ مِنَ الحَيَاةِ الَّتِي تَعْرِفُونَ وَالأِنْدِمَاجِ بِمَا
سَتَعْرِفُونَ...

1999

من المنعيق

النسمة

(قبل تحديد المكان وتدوين الزمان)

ووجدتني نسمة، أطوف في الكون، لا حدود لي، لا، ولا زمن. وما زلت أطوف حتى
انتهيت في رثي رضيع، فأحسنت بالحياة أكثر، إذ صرت جزءاً إنسانياً منها.

1995

اللحن

(زمن زوال عن أرض استعادت حرّيتها)

وتفاننت أرواحاً على أرض حتى زالت عنها، ودرست أثارها، فاستعادت الأرض حرّيتها،
ولم يبق في الذاكرة سوى لحن حلم به عبقرٍ إذ حاول التقريب بين المتخاضمين، فلا هو وفق في
وضع اللحن، ولا هو وفق بين الطامحين المتطاحنين، بل رددت الطبيعة، طيراً وشجراً وجدولاً،
لحن البقاء، لحن الذكاء والقوة.
نعم، رددتني الطبيعة.

1997

القصيدة

(زمن هدوء على ضفاف القلغا)

وتناقشني ذاكرة شعب، قصيدة لا شاعر لها، تقول:

بني،
إن شذك الحنين إلي،
وقد اندمجت برحلي،
عش حياتك، ملاءها،
ومتى اندمجت، بدورك،
أفصد صومعتي، في العجود،
تجدني، هناك،
حاملاً يراعه وورقه،
أبحث عن جديد
1997

الصخرة

(زمن زهن حالم - صحراء غوبي بمنغوليا)

وتحوّلت صخرة صماء، لم يقرّبني، من قبل، بشر. وإذ التقى، في حضوري، عاشقان،
ونقشا حُبهما على الحجر، غدوت شاهدة حُب وتاريخاً لأثر.

1995

الضمير

(إقالة في زمن نضال)

وفرض عليّ إنسان، وفرضتُ عليه، فسعيتُ معه جاهداً عند مثاليّة الصبا، كما في نضال الشباب؛ بيدّ أنّه - وقد اختار السياسة مصدرَ رزق، فعلتُ رتبته، وصارَ ذا شأن - حكّم، فتجبر. وإذ سألتُه لم يفعل ما يفعل، وأين غدتِ المثاليّة، وصارَ النضال، تحجج، في فُهره الآخرين، بالحفاظ على ما وصلَ إليه.

وكان أن أقلت.

1997

العائد

(حيث لا تحديد لمكان أو تدوين لزمان)

وغدتُ إلى القوة، لا مكان لي أو زمان، لا محسوساً ولا مُدرَكًا...

1997

الشريف

... وحام الموت حول صومعة الشريف، لكنّه، لما أدرك ما كانت عليه حياة الشيخ، أعرَضَ عنه. بيدّ أن الشريف... نده الموت ليدركه، فلبى الموت النداء...
واندمج الجليل في الطبيعة، فتفاعلاً تفاعلاً كونياً، تماماً ككلّ من سبقه ومن سيُتبعه، وغداً، بالاندماج الكوني، جزءاً من الحقيقة التي طالما سعى لإدراكها...
وأسرّع أهل وشعب لإلقاء التحيّة الأخيرة على كبير البلاد، وراح بعض يسنّم، في الصومعة، رائحة بخور، فيدعو إلى قداسة الشريف، وبعض آخر يشنّه، وبأمّ العين، فيضاً من الأنوار ينبعث من الصومعة نفسها، فيدعو إلى الدعوة باسم النبيّ الجديد.
وأما بكرُ البكر ففضّ وصيّة جدّه، وتلا ما جاء فيها على مسمع الحضور:

"حياتي وصيتي، فافروا واعتبروا، وادكروا، دائماً وأبداً، أن أيّاً كان ليس أفضل من أيّ منكم، تماماً كما أن أيّاً منكم ليس أفضل من أيّ كان. وما أنا سوى إنسان عاديّ قد يكون أولّ المنعّيقين والمندمجين فكراً؛ ورجائي أن لا أكون آخرهم، علماً بأنّي مطمئن إلى كوني لستُ لا أولّ المندمجين فعلاً ولا آخرهم.

"وأما يوم رحيلي فليكن عيد الاندماج في الحقيقة والانعقاد الكوني؛ وأما ضريحي، فليكن في صومعتي نفسها، بسيطاً، وليكتب على شهادته: هنا يرفد إنسان من الوادي الأخضر؛ وأما صومعتي، فليترك بابها، كالعادة، مفتوحاً، ولتترك، هي، على حالها، من غير ترميم أو تحسين، حتى إذا شاءت الطبيعة أن تندثر بما فيها، فلتنذر.

"أحبائي، إفرحوا لي، فمهما اتسع المكان، فإنّ اللامكان أوسع، ومهما طال الزمان، فإنّ اللأزمان أطول، وأياً تكن قدره المحسوس، فإنّ اللامحسوس أقدّر، وأياً يكن مدى الوجود، فإنّ اللأوجود أمدد."

آيار 1996

من الْمَدْمِجِ

المُقْتَسَم

- أُمْسَكْتُ بِهِ، لَيْلًا، وَقَدْ نَسَلْتُ مُقْتَسَمًا فِي حَاوِيَاتِ الْقَمَامَةِ، فَعَيَّرْتُهُ، وَتَرَكْتُهُ يَتَخَبَّطُ فِي الْحَالِ الَّذِي هُوَ فِيهَا...

- أَضْمِيرًا تَعْتَبِرُ نَفْسَكَ، أَيُّهَا النَّاقِصُ؟ لَقَدْ أَخَذْتُ عَلَى عَاتِقِي مُهِمَّةَ الْمُرَاقَبَةِ الَّتِي بَدَأْتُ، وَرُحْتُ أَرْقُبُ مَجِيءَ ذَلِكَ الْمَسْكِينِ، لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ، فَصَبَاحًا إِثْرَ صَبَاحٍ، ثُمَّ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِ النَّهَارِ، إِذْ يَبْدُو أَنَّ صَاحِبَنَا اعْتَادَ فَعَلْتَهُ، وَبَدَلَ أَنْ يَقُومَ بِهَا فِي حَقَرٍ كَمَا فِي بَدَايَاتِهِ، رَاحَ يُمَارِسُهَا فِي انْتِظَامٍ وَامْتِيهَانٍ، حَتَّى إِذَا مَا وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَيَّ، فِي آخِرِ لِقَاءِ بَيْنِنَا، شَعَرْتُ، أَنَا، بِالْحَجَلِ.

1999

إِنْدِمَاج

إِنْتَهَى الْإِدْعَاءُ مِنْ أَدْعَائِهِ، وَالذَّفَاعُ مِنْ دَفَاعِهِ، وَلَمَّا يُسْمَعُ صَوْتُ الدِّيَّانِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَلْفِظَ بِحُكْمِهِ.

وَأَنْبَقَ نُورٌ مُظْلَمٌ مِنَ الثُّغْرَةِ، أَلْمُنْتَفَسِ وَالسَّجْنِ، وَدَعَانِي الصَّمْتُ إِلَى التَّعْرِفِ، عَبْرَ الثُّغْرَةِ، بِالذِّيَّانِ، وَسَمَاعِ حُكْمِهِ؛ فَاقْتَرَبْتُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَنْحَرَكُ، وَنَظَرْتُ، وَعَيْنَايَ مُعْمَصَتَانِ، فَإِذْ مَرَأَةٌ مَا صَنَعَتْ يَوْمًا تُعَرِّفُنِي إِلَى الدِّيَّانِ، وَتَلْفِظُ بِحُكْمِ ضَمِيرِ إِنْسَانِيٍّ لَا يَعْرِفُ سِوَى كَلِمَةٍ: بَرَاءَةٌ؛ فَأَيَّقَنْتُ أَنِّي فِي حَضْرَةِ نَفْسِي، وَأَنَّ الْمُتَنَاقِضَاتِ قَدْ زَالَتْ، وَالْإِنْدِمَاجُ تَمَّ.

وَهَا إِنِّي أَلْتَقِي الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَشْقِيَاءَ، وَأَنْدِمُجُ مَعَهُمْ وَفِيهِمْ مَعَ اللَّهِ-الْمَحَبَّةِ وَفِيهِ، فَلْجَمِيعِ الْمَصِيرِ عَيْتُهُ، وَإِنَّمَا الضَّمِيرُ هُوَ الْكَفِيلُ بِالتَّوْازَنِ الْإِنْسَانِيِّ، لَا الرَّادِغُ الْمُتَنَوِّعُ الْأَسَالِيبِ. وَهَا إِنِّي أَعُودُ إِلَى الْقُدْرَةِ الَّتِي مَا بَرَحْتُ جُزْءًا مِنْهَا، وَالْعَدْجُودِ الَّذِي مَا تَرَكْتُ، لَا بَلْ غَدَوْتُ الْقُدْرَةَ- الْعَدْجُودَ ذَاتَهُ، إِذْ لَا جُزَيْنَاتٍ بَعْدَ الْمَوْتِ.

1998

الْمُنْطَلِقِ

مُسْتَمِرٌّ أَنَا فِي تَجْوَالِي بَعْدَ تَعْرِيجِ، بِفِعْلِ حَيْنِينِ إِنْسَانِيٍّ بَاقٍ، عَلَى الْأَرْضِ حَيْثُ الْمَحْيَا السَّابِقِ.

ذِكْرِيَاتِي مَعِي، مِنْ مَحْيَايَ، وَثَابِتَةٌ هِيَ بَعْدَ تَعْرِيجِي؛ لِذَا، مُسْتَمِرٌّ أَنَا فِي تَجْوَالِي، وَسَائِحٌ فِي الزَّمَانِ، دُونَ مَا حُدُودِ.

وَإِنَّ أَنَا فِي الْمَعْرِفَةِ الْمُطْلَقَةِ وَالْحَقِيقَةِ الْكُلِّيَّةِ، وَمُنْطَلِقٌ إِلَى حَيْثُ الْجَدِيدِ وَمَا فَوْقَ بَشَرِ الْيَوْمِ وَالْعَدِّ، فَهَمِّي مَعِي:

هَمِّي الْإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ، هَمِّي يَوْمُهُ وَعَدُّهُ؛ هَمِّي هَنَاوَهُ وَحُرِّيَّتُهُ.
وَأَمَّا اسْتِئْتَاجِي فَأَنْ لَيْسَ لِلْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَالْقُدْرَةِ فِي وَجْهَيْهَا، الْمَعْرِفَةُ وَالْحَقِيقَةُ، مِنْ مَعْنَى لَوْلَا الْإِنْسَانِ.

وَأَمَّا سُؤَالِي فَلِمَ، إِذَا، سَعَادَتُهُ فِي الْأَرْضِ اسْتِحَالَةٌ؟
مُطْمَئِنٌّ أَنَا إِلَى نَهَايَةِ الْإِنْسَانِ، فَأَنَا فِيهَا، وَلَكِنْ، مَاذَا عَنْ حَيَاتِهِ؟ وَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ لِنَحْسِينِهَا؟
هَمِّي الْإِنْسَانُ، وَغَيْرُ قَادِرٍ أَنَا عَلَى الْمُسَاعَدَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ هَمِّي، وَبِالْمَوْتِ فَقَطْ شَبَعُ الْجَائِعِ وَالْجَشِيعِ، وَحِلْمُ الْمُتَفَانِيِّ وَالْمُنْهَوَّرِ، وَإِدْرَاكُ الْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ، وَالْمُسَاوَأَةُ بَيْنَ الْجَمِيعِ.

هَمِّي الْإِنْسَانُ... وَلَكِنْ، فِي انْدِمَاجِ أَنَا، فَلَا زَمَانَ وَلَا مَكَانَ؛ وَالْإِنْسَانُ وَالْكُونُ، حَيَاةً وَمَوْتًا فِي انْدِمَاجٍ أَيْضًا؛ فَمَا هَمِّي، وَهَمُّ الْإِنْسَانِ وَالْكُونِ إِذَا؟

مُنْطَلِقٌ أَنَا، مُنْعَتِقٌ مِنَ التَّعْبِيرِ، وَسَائِلَ وَأَحْرُفًا؛ مُنْطَلِقٌ أَنَا، مُنْعَتِقٌ مِنَ الْفِكْرِ، فَيُوداً وَمَحْدُودِيَّةً؛ مُنْطَلِقٌ أَنَا، مُنْعَتِقٌ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ، شُؤُونًا وَشُجُونًا؛ مُنْطَلِقٌ أَنَا، مُنْعَتِقٌ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِنْعِتَاقِ؛ مُنْطَلِقٌ أَنَا، مُنْعَتِقٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الْمَطْلُوقَةِ وَالْحَقِيقَةِ الْكُلِّيَّةِ. مُنْطَلِقٌ الْإِنْسَانُ، مُنْعَتِقٌ مِنْ إِلَهِ الْكَوْنِ؛ مُنْطَلِقٌ إِلَهُ الْكَوْنِ، مُنْعَتِقٌ مِنَ الْإِنْسَانِ.
مُنْطَلِقٌ أَنَا، مُنْطَلِقٌ الْإِنْسَانُ، مُنْطَلِقٌ إِلَهُ الْكَوْنِ.
طَلِيقٌ أَنَا، طَلِيقٌ الْإِنْسَانُ، طَلِيقٌ إِلَهُ الْكَوْنِ.

1999

من الحالِم

الأخير

... وفي لحظات حياته الأخيرة، فَكَّرَ الْحَالِمُ وَاسْتَنْتَجَ:
فَكَّرَ فِي أَنَّ اللَّهَ وُلِدَ وَشَبَّ وَشَاخَ وَهَرَمَ فِي عُقُولِ الْبَشَرِ، إِذْ ظَنَّ نَاسٌ مَمَّنْ جَعَلُوهُ بَشَرًا، أَنَّهُ إِنَّمَا أَوْجَدَ الْإِنْسَانَ لِيُنْهَى، فَتَلَهَّوْا، فِيمَا حَشِيَّهِ آخَرُونَ حَتَّى نَسُوا أَنْ يَعِيشُوا. وَاسْتَنْتَجَ أَنَّهُ، عِنْدَمَا فَتَشَ الْبَشَرُ عَنِ الْإِلَهِ، وَقَدْ رَسَمُوهُ عَلَى صُورَتِهِمْ، شَاخَ إِلَهُهُمْ، فِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَضَاعَ بَيْنَ وَجُودٍ وَعَدَمٍ، وَفَاتَ الْبَشَرَ أَنَّهُمْ، بِالْمَوْتِ، يَتَخَطَّوْنَ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ، وَالْوُجُودَ وَالْعَدَمَ، وَيُنْدَمِجُونَ بِكُلِّ مَا يُفْتَشُونَ عَنْهُ، وَلَا يُفْتَشُونَ.
وَفَكَّرَ فِي أَنَّ الْإِنْسَانَ، لِإِنَّهُ مُفَكِّرٌ، يَفْقَهُ الْمَوْتَ، وَلِذَا، يَخَافُهُ أَكْثَرَ، وَلِأَنَّهُ مُفَكِّرٌ وَمُسْتَنْبِطٌ، لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْعِتَاقَ وَالْإِنْدِمَاجَ فِي سَهْوَةٍ غَيْرِهِ مِنْ عُنَاصِرِ الطَّبِيعَةِ وَالْكَوْنِ؛ وَاسْتَنْتَجَ أَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ فِكْرَهُ مَجْدَدًا لِلْوُصُولِ إِلَى هَدْيَيْنِ الْمَفْهُومَيْنِ.
وَفَكَّرَ فِي أَنَّ النَّاسَ يَأْمَلُونَ بِالْحَيَاةِ مَا بَعْدَ الْحَيَاةِ، وَيَتَصَوَّرُونَهَا شَبِيهَةً بِالَّتِي يَحْيُونَ، وَأَبْدِيَّةً؛ وَاسْتَنْتَجَ أَنَّهُ لَا تُعْقَلُ حَيَاةٌ فِي الْمَا بَعْدَ كِمِثْلِ حَيَاةِ الْمَا قَبْلَ، وَإِلَّا كَانَتْ رَتْبِيَّةً. كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ، مَتَى أَدْرَكَ مُصِيرَ مَا بَعْدَ الْحَيَاةِ الَّتِي يَعْرِفُ، أَفَلَا يَعْدُو الْإِلَهَ؟
وَفَكَّرَ فِي أَنَّ النَّاسَ، فِي سَعِيهِمْ لِلْإِيمَانِ، يَبْتَعِدُونَ بَعْضُهُمْ عَنِ الْبَعْضِ الْآخَرَ، وَيَصِلُونَ إِلَى مَوْضُوعَاتٍ خِلَافِيَّةٍ، وَصِرَاعَاتٍ؛ وَاسْتَنْتَجَ أَنَّهُ، إِذَا كَانَ لَا بُدَّ، حَقًّا، لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُؤْمِنَ، فَلِمَ لَا يُقْتَرَبُ مِنْ نَفْسِهِ، فَيُؤْمِنَ بِهَا، وَبِالْإِنْسَانِيَّةِ، وَقِيمَتِهَا الْمُمَيَّزَةِ؟
وَفَكَّرَ فِي الْإِيمَانِ أَيْضًا، وَاسْتَنْتَجَ أَنَّ الْإِيمَانَ النَّظْرِيَّ أَسْهَلَ الطَّرِيقَ لِخُلَاصِ غَيْرِ أَكِيدٍ، فِيمَا الْعَمَلُ فِي سَبِيلِ الْأُنْسَنَةِ، لَا بُدَّ فِيهِ الْخُلَاصِ.
وَفَكَّرَ فِي أَنَّ الْإِنْسَانَ، فِي أَمْسِهِ، كَانَ يَتَأَثَّرُ بِالطَّبِيعَةِ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يُؤَثَّرُ فِيهَا، فِيمَا رَاحَ، فِي يَوْمِهِ، يُؤَثَّرُ فِيهَا أَكْثَرَ مِمَّا تَوَثَّرُ فِيهِ، لَا بَلَّ إِنَّهُ اسْتَبَاحَهَا؛ وَاسْتَنْتَجَ أَنَّ الْإِنْسَانَ، لِيُنَّ تَمَكَّنَ مِنَ الْحِفَافِ عَلَى وَجُودِهِ فِي تَارِيخِهِ الْقَدِيمِ الْبَطْيِيِّ، فَإِنَّ تَارِيخَهُ الْمُعَاصِرَ الْمُتَسَارِعَ كَانَ كَفِيْلًا بِالْقَضَاءِ عَلَيْهِ.
وَوَجَدَ، أَخِيرًا، وَفِي اخْتِصَارٍ كُلِّيٍّ، أَنَّهُ لَا يَسْتَمِرُّ بَشَرٌ يُفَرِّقُهُمْ عِرْقٌ وَلِغَةُ وَأَرْضٌ وَمُعْتَقَدٌ وَعَقِيدَةٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ سِوَى الْجَشْعِ، وَقَدْ نَسُوا الْأُنْسَنَةَ.

2000

9

أنا الوليدُ، أنا الفتى،
أنا العجوزُ، أنا المدى
أنا الأبُ، أنا الضنأ،
أنا الأمُ، أنا الجنى

أنا الجمادُ، أنا الحراك،
أنا الزرعُ، أنا الحصاد
أنا الخيرُ، أنا العطاء،
أنا الشترُ، أنا الشفاء

أنا الحبُّ، أنا المحبَّة،
أنا البغضاءُ، أنا الكدر
أنا الأملُ، أنا الرجاء،
أنا الحظُّ، أنا القدر

أنا الفكرُ، أنا الحقُّ،
أنا العقيدةُ، ألمُبْتغى
أنا البرى، وما يرى،
وكلُّ ما في السماء سرى

أنا الحياهُ، أنا الموتُ،
أنا الوجودُ، أنا العدم
أنا اللهُ، أنا الخلود،
أنا كلُّ الشئِءِ، واللاشئِءِ

أنا الإنسان

2000

11

موجودُ أنا، إذاً، مسؤولُ؛
موجودُ أنتِ، إذاً، مسؤولُ؛
موجودون نحنُ، إذاً، مسؤولون؛
بالسببِيةِ، نحنُ، مُرتبطون،
وبالتعاضدِ مُلزمون؛
شراً وخيراً، حُزناً وفرحاً،
مُتعاضدون

2000

من الألغياء

من الرّاحل

كم

من وقتٍ ضيّعتُ في أملٍ،
في شوقٍ، في قبلةٍ من فتاة؛
كم من وقتٍ ضيّعتُ في حلمٍ،
في وهمٍ، في إنسانيّةٍ من حياة؛
كم من وقتٍ ضيّعتُ في بحرٍ،
في أرضٍ، في رجاءٍ من سماء؛

آه، آه،

آه، لو أضيّعُ الوقتَ مجدّداً،
أضيّعُهُ هباءاً!

2002

في

طريق عودتي من مشوار الحياة،
تلك التي تفاعلتُ معها، وتفهمتها،
تلك التي حللتها، وفلسفتها،
في طريق عودتي من مشوار الحياة،
أدركتُ أنّ أسئلتني حولها تفوقُ إجاباتي عنها

2002

آخرُ

دمع العين انهمر: إنّه دمع الرّحيل؛
أف يكونُ لِفراقٍ، حزينا سخيّا؟
أم لانعتاقٍ، فرحاً شخيّا؟

آخرُ دمع العين انهمر:

ها هو يندفقُ سيلاً عرماً،
ها هو يدفّعني للإبحار،
وها إني أبجرُ في فرحٍ ما بعده فرح!

إني لأتمنّمُ نسيدياً،

نسيدي رحيلٍ هو، ما وضعته يوماً؛

إني أتمنّمهُ للمرّة الأولى،

وقوأي تخونني للمرّة الأخيرة؛

ما زلتُ أتمنّمهُ، وعساني، عندما أنتهي منه، أمضي؛

ما زلتُ أتمنّمهُ، وها إني أمضي،

ها إني في فرحٍ أعبرُ

2002

من المُحاور

قايين

ماذا فعلتَ، قايينُ، أو ماذا فعلَ الإنسانُ بك؟ أفنَّلتَ أخاك أم جعلك الإنسان، في مُخيلته، وبعدهما خَلَقك، تَقْتُلُه؟ لِيْن صَحَّ أَنَّ الرَّبَّ مَيَّرَ هَابِيلَ عنك، فَقِيلَ تَقْدِمَاتِه، فيما رَفَضَ تَقْدِمَاتِكَ وَجِبَّكَ له، وَأَنكَرَ عَلَيْكَ تَعَبِكَ، فَقَدَ أَمْنُحَكَ الأسبابَ التَّخْفِيفِيَّةَ على ما قُمتَ به، أنتَ الكائِنُ المَحْدُودُ التَّفْكِيرِ والقُدْرَاتِ. أَمَّا لو قامَ هَابِيلُ، على الرُّغمِ ممَّا مَنَحَه الرَّبُّ من عَطْفٍ خاصٍّ، بَقْتَلِكَ، لما عَفَرْتُ له أبداً.

2002

المحبة

ووجدتها هناك، مُعلَّقة على صليب.
وجدتها هناك، تُبْذَلُ نَفْسُهَا في سبيلِ الآخر، تَزُولُ كي يُحَقِّقَ الآخرُ ذاته.
لا خاطبُها ولا خاطبُني، بَلْ نَسَاكُنَا.

2002

طواحين

فَنَشْتُ عنك طويلاً، سِرْقَانِيس، فلم أَحْظُ إلا بِدُنْ كِيخوتِه، على ظهرِ فَرَسِه رُسِيَّيْنَتِ، يَسْعَى إلى طواحينه، فيما مُرافِقُه الأَمِينُ سَنَشُوسُ، على ظهرِ حماره، يَسْعَى خَلْفَه.
خَلَدْتُ دُنْ كِيخوتِه، عزيزي ميغل، في عقولِ النَّاسِ وَمُخَيَّلَاتِهِمْ. ولا بأسَ، فأنا لا أَنصَوْرُكَ سوى باحثٍ عن مُغامرَةٍ جَدِيدَةٍ لِبَطْلِكَ الَّذِي أَنْتَ هُوَ. فَهَيَّا بنا إلى المُغامرَةِ، هَيَّا بنا نَسْتَكْشِفُ مع دُنْ كِيخوتِه وسَنَشُوسُ، ماذا تَنْتَظِرُ؟

2002

دع

كُنْتُ الثَّانِي في تَوَلِّي الأمانة العامة لمنظمة الأمم المتحدة، هَمْرَشُلْد. جِئْتُ من أسوج، بلادٍ لم تُعرَفِ الحربَ منذَ أَمَدٍ بعيدٍ، ومُهَمَّتُكَ إرساءُ السَّلَامِ في العالمِ ما أمْكَنَ. قُمتَ بواجبك خيراً قياماً، وَسَعَيْتَ لاسْتِقْلَالِيَّةِ المنظمةِ، فَنجَحْتَ إلى حَدِّ كبيرٍ، بحيثُ افْتَقَدَ أمثالك في زمنِ جُعَلتِ المنظمةُ مَطِيَّةَ الرَّأْيِ الواحدِ والقوَّةِ الواحدة.

2002

أبناء

أبناؤك، جُرْج واشيطن، يا مَنْ كُنْتُ مُحَرِّراً للولايات المتحدة الأمريكية؛ أبناؤك، يا مَنْ عَمَلتَ في نزاهةٍ وإنصافٍ من أجلِ إنسانٍ أفضلٍ، أنظُر إليهم، بعدَ قَرْنَيْنِ على غِيَابِكَ، وقد بَلَغُوا من التَّطوُّرِ شَأوًّا، يُطَارِدُونَ المَرِيخَ مثلاً، يَبْحَثُونَ فيه عن مصادرِ المياه، فيما يَبْرُكُونَ مِيَاهَ الأرضِ الوفيرة تَلَوَّتْ، ومئات الملايين من الأَقْلِّ حَظًّا من أبناء جنسهم، في عَطَشٍ!

أهكذا أَرَدتَ أبناءك أن يكونوا، واشيطن؟

2002

من الذكري

من المقدمة

بُنَيَّ،

لطالما رددتُ جَدُّكَ على مَسَمَعِي أَنَّ الأرقامَ قَتَلَتْهُ، بِمَعْنَى أَنَّ عَمَلَهُ الإِدَارِيَّ، مع ما تُضَمِّنُهُ من أرقام، مَنَعَهُ من الكِتَابَةِ.
وأما أنا فأقولُ لك إنَّ الأحرفَ هي الَّتِي قَتَلَتْني لأَنِّي وَضَعْتُ مُعْظَمَهَا في غَيْرِ مَحَلِّهِ، أعني في مؤلِّفاتٍ غَيْرِ أدبِيَّةٍ عديده، لئِن أَفادَتْ كَثِيرِينَ وَأَعْجَبَتْ، ومَكَّنَتْني من كَسْبِ العَيْشِ، فقد شَغَلَتْني عن الكِتَابَةِ الأدبِيَّةِ الَّتِي، وَحَدَّهَا، تُحَنِّنُ الخَلْقَ.

يا ساعياً لا لاعتاق،

لكلِّ بَشَرِيٍّ جُذُورٌ عليه أَنْ يَفْخَرَ بها، أَيَّا كانتَ، على أَنْ يُمَسِّكَ بِحَسَنَاتِهَا، وَيَرْمِيَ اعوجاجاتها.

أما جُذُورُكَ فَضارِبَةٌ في أرضِ الأنبياء والرُّسُلِ والقديسين، ولا أعني المَعْرُوفِينَ منهم فقط، بل، أيضاً، أولئك الأنبياء والرُّسُلِ والقديسين من حاملي العِلْمِ والتُّقافة، وكلِّ إنسانٍ عاشَ إنسانِيَّتَهُ على أَفضلِ نَحْوٍ وَفَّقِ الفِضائلِ الإنسانيَّةِ الَّتِي عرَّفَها زمانُهُ.

جُذُورُكَ، بُنَيَّ، في المَشْرِقِ، قَلْبِ العالَمِ:

الأراميون، مُكْتَشِفُو إيل، الإله الأوحَد، حَمَلُوا إِلَيْكَ شُهْرَتَكَ، فَنَعَمَانُ خادِمُ مَعْبَدِ إيل.
وأما القائدُ نَعْمَانُ السُّورِيُّ فَشَفِيٌّ من البِرِّصِ، في القرنِ التَّاسِعِ قَبْلَ المَسِيحِ، على يَدِ النَّبِيِّ أليشعَ باغْتِسَالِهِ سَبْعَ مرَّاتٍ في نَهْرِ الأردنِ. وأما الأرامِيَّةُ فَنَطَقَ بها المَسِيحُ نَفْسُهُ.
وأنتَ ابنُ فينيقيَّا كنعانَ أَنْجَبْتَ الحرفَ وإنَّ لَم تَحْتَفِظْ بِمَلَكْتِهِ طويلاً، وَاغْتَنَّتْ بِحَضاراتِ العَيْرِ، وإنَّ أَضاعَتْ هُويَّتَها.
وأنتَ ابنُ عُرْبٍ انْتَصَرْتَ للحَقِّ فَكانَتْ لَها وَقْفاتُ عِزٍّ، وإنَّ خَبا عِزُّها حَتَّى لَم تُعَدَّ لقيامته مُنَى.

وأنتَ ابنُ لَبْنانٍ أُعْطِيَ إِفرادِيًّا ولَمَّا يُعْطِ جَماعِيًّا، والسَّبَبُ ائْتِجارُ في كلِّ شَيْءٍ.
وأنتَ ابنُ كَنيسَةٍ مَشْرِقيَّةٍ مُنْجَدِّرةٍ في التَّاريخِ، وإنَّ مُنْقِسمَةً، حيثُ رَمَّ مُنْشِدوها حَضَرَ اللهُ.

فأفخِرُ، بُنَيَّ، في كلِّ هذا، بما لك، ولا تُتَهَرَّبْ مِمَّا عَلَيْكَ، ولكنْ تَدَكَّرْ دوماً أَنَّكَ، وقَبْلَ كلِّ شَيْءٍ، ابنُ اللَّحْظَةِ، وابنُ الإنسانيَّةِ جَمعاً.

ثمَّ إِنَّكَ ابنُ بَيْتٍ ما تُعوَدُ أبناؤُهُ أَنْ يَظْلَمُوا، وَيَكْفِي الإنسانَ أَلَّا يَظْلِمَ، بِالْمَعْنَى الأَوْسَعِ والأشْمَلِ لِفِعْلِ الظُّلْمِ، لِيَعِيشَ إنسانِيَّتَهُ. فأرْحُ ضَميرَكَ ظليماً في سِجْنِ، ولا تُحْمَلْ ظالماً في حُرِّيَّةٍ...
1998